تجربته[1]. وهذا ما يمكّنه من تنويع عوالمه السّرْدية واستبدال رتابتها وخطيتها بشكل مركّب وديناميّ عند استثماره للعديد من الأجناس المتخللة كما أشرنا إلى ذلك آنفاً. إنّ السرد المركّب في هذه الرواية، بما هو أفق لتخييل الحكاية، يطبع فضاء النص بالعديد من التلوينات الخطابية والأسلوبية كما يَسِمُ محكيَّه بنسق تهجيني لا ينفصل عن نمط الوعي الذي يمتلكه السارد في رحلته للبحث عن حقيقة الكائن ضمن صورة الكتابة (التحقيق/الرواية). ولذلك يظل طموحُه لبلوغ هذه الصورة وامتلاكها سرَّ معاناته لذلك الوهم السّرابي الذي يُعْلن عنه في آخر صفحة من الرواية: «وشعرتُ تدريجياً أنني أبحث عن وَهْم سرابي تلازمني أطيافُه الهاربة كُلّما توغلتُ في دروب التقصّي» (ص ١٦٠).

إنّ ما سبق عرضه من معطيات يخصّص، إذن، جانباً من أفق تخييل الحكاية في رواية **باب تازة** لعبد القادر الشاوي، وهو أفق يراهن أيضاً على جدوى مناطق السخرية: سخرية متحررة من أيّ وعي مسبّق بشكل للكتابة؛ وسخرية قادرة على تمثل تحوّلات الواقع ومواضعات المجتمع، مثلما هي قادرة على نقد المواقف والسلوكات والتبدّلات؛ وسخرية ذات بُعْد معرفي تنسجها ذاكرةُ عبدالله المتوكّل من أجل فهم ما جرى، لا بهدف البحث عن الجواب المرجع، وإنما بهدف طرح سؤال التحوّل الذي يمكّن الذاكرةَ من تجاوز أيّ نسْيانٍ يسلبها هويتها وصلتها بالواقع.

تلك اعتباراتٌ تكمن وراء أي بحث عن «الدلالة المنتجة» وعن «قصد الدلالة المحتملة» التي تجعل منها رواية **باب تازة** مظهراً نصياً ينشغل بتجديد إجراءاته السّردية، والبحث عن «منطق» انسجامي مفترض بين «التحقيق» و «الرواية» من جهة، وبين الرواية والحقيقة والاحتمال والتخييل من جهة ثانية.

١ ـ لتعميق هذا الرأي انظر مثلاً: Michel Raimond: **Le roman**. Armond Colin, 1989. P. 81.

مناقشة مداخلة عبد الفتاح الحجمري

بالنسبة إلى تأطير الأستاذ الحجمري لِـ **باب تازة** ضمن نصوص سردية أخرى للكاتب، فإنّي أظنّ أنه ليس كافياً لفهم خصوصية هذه الرواية ودلالتها. ذلك لأن قراءة هذه الرواية قد وضعتني في جوّ آخر يحيل على نص يبدو أنّه شكّل المرجعية الأساسية بالنسبة لعبد القادر الشاوي وهو يكتب رواية **بـاب تـازة**. وهنا أوّد أن أحيل على نص المقدمة التي خصّ بها الشاوي كتاب **مناديل وقضبان** للفقيدة ثريا السقاط. هذه المقدّمة كُتبتْ في ٥ أكتوبر، واستسمحكم في قراءة مقطع منها: «لو قيل لك إنّ السجن مؤسسة فلا تثقْ، لأنه غربة واحتجاز وقهر وإذلال ومعركة مع الذات الحبيبة والأحلام الطريدة، ودوخةٌ مستديمة، وعنفٌ يشق الدّماغ ويكوي الجسد ويحطّم الرغبات جميعها، وحرمانٌ يستفزّ فيك المقهورَ والمقرور والمطمور. لا تثق إنّ السجن هذا لا يقال عنه مؤسسة، إنّه إنشاء الفواجع المطلقة». وإذا كان الشاوي قد خرج من السجن في ٧ ماي ١٩٨٩، فإنّ شهر ماي يتواتر على امتداد الرواية وسَيُلْبسه لـ «المفضّل». وفي هذا الصدد أتساءل هل **باب تازة** «مسوّدة» بدأتْ في السجن حين كتابة الرسالة، أم كتبت بعد هذا التاريخ، أم صاغها الزمنان معاً؟ أعتقد أن هناك قرائن في **باب تازة** تؤشّر على ما يوجد في الرسالة. وهذا يهمّني طرحُه بصدد التواصل ما بين **باب تازة** ونصوص روائية أخرى، ونصوص سردية لم تؤطّر ضمن جنس القصّة أو الرواية.

في مستوى ثان تطرح القراءةُ المكانَ في **باب تازة** كمكان متحوّل لا يعرف إلا الخراب. والكتابة في الرواية، كما أوضح ذلك عبد الفتاح الحجمري، بحثٌ عن مبرّرات الانتقال من شكل تعبيري إلى آخر. وأعتقد أن هذا البحث لا يتمّ إلا عبر بحث الذات عن وجودها. وبالتالي فالبحث عن مبررات الوجود يقتضي الانتقال من صيغة تعبيرية إلى صيغة أخرى. ولهذا نجد الشاوي يوظّف العديد من تقنيات علم البحث الميداني للإحالة على الواقع. وكيفما كانت إيهاميةُ هذا النص فالمسألة لا تتجاوز كونها عمليةً خطابية مبنيّةً على متغيّرين: النّص الذي يسمح بتأويلات متعدّدة، والواقع الذي يسمح بالشيء نفسه. وهذه المسألة نلمسها من خلال تقنية «التحقيق». فالتحقيق يتقدّم في هذا النص كوسيط تخييلي مشروط بوظيفة معيّنة هي توسيع أبعاد الحكي. وهذا التوسيع لا يتمّ إلا من خلال مبدإ التحويل الذي يساهم في تناسل السّرد. ولأن التحقيق لا يُنشر فإنّنا نكون باستمرار أمام مشروع تحقيق لا يكتمل، إمّا بفعل رقابة السلطة وإما بفعل الرقابة الذاتية. فالرقابة كبنية تعوق انطلاق الذات ولكنها كمستوى يحفز على تنامي السرد!

خديجة مروازي